

لا أثر للمغازلة في روسيا

منترجمة عن مجله اشترنايشونال رابرسست

بقلم الأستاذ توفيق ضمون

—————

هذا ما بدا لأحد سكان غربي أوروبا عند ما زار موسكو ، وقد عاد منها مقتنعاً أن « الرقيق كوبيسد » أصبح شيئاً غير مرغوب فيه في وطن ستالين . أما روايته في هذا الصدد فهي ما يلي :

اقتدأف سكان غربي أوروبا مشاهدة المظاهرات الغرامية على أنواعها ، وفي مجلها تبادل القبل في الشوارع والتزهات ، والتشجيع على المناصرة الذي يلقاه الرجال من الفواني . فلا بدع إذن أن يهيج الباريسيون أو سكان أى مدينة من كبريات المدن الأمريكية للمحافظة الثامنة على الآداب العمومية التي يلقونها في موسكو .

مما لا ريب فيه أن هذه المدينة التي تجمّع بضمها في عدد سكان باريس هي واحدة من « أنظف » بلدان العالم ؛ إذ أن العلاقات اليومية بين الرجال والنساء خاضعة لقواعد التعفف والصون التي جرى عليها الأقدمون . فلا عواهر يخطرون في الأسواق ، والرجال والنساء ، شباناً وكهولاً ، لا يتبادلون القبل علانية ، ولا يسرون متشابكي الأذرع ولا متضامنين لكي يثبتوا للدلائل ما يضمنه أحد الفريقين للآخر من حب وإعزاز . وجل ما يراه الزائر محبان يتزهران ، وقد أخذ كل منهما بذراع الآخر في احتشام كل ، فيخيل إليه أنهما زوجان انقضى على قرانهما عقد من السنين .

ومما استرعى انتباهي بنوع خاص أنني بينما أنا واقف في مطار كاليفرنفرد في انتظار طائرة تقلني إلى موسكو ، تجلّ أمامي مشهد وداع مدهش جرى بين جندي مبدور الذراع وخطيبته الحناء المسافرة ؛ فعند ما أذن الموعد أخرجت الفتاة من محفظتها تفاحة قدمتها للجندي فتناولها مبتسماً ، وبادها بدوره إهداءها بضمة من أزهار كان قد اقتطفها من حقل مجاور . والظاهر أن تعرضهما للأفطار وبكهما إلى حد أنهما افترقا دون هناق . وصمدت الفتاة إلى الطائرة حيث لبثت مستترقة في تفكيرها لاهية عن كل ما حولها

باستثناء لحظات خاطفة كانت تأتي فيها نظرة أسمى من النافذة ، أو تصوبها إلى طاقة الزهر الصغيرة التي زوجها بها خطيبها الجندى ، وعبثاً حاول الترفيه عنها ، فقد رفضت بأدب وحزم كل ما عرضته عليها من سكاكر وحلوى .

وفي غضون الأسبوعين اللذين قضيتهما في موسكو تكررت أمامي المشاهد الدالة على المحافظة إلى أقصى حدودها . ولم يتفق لي أبته أن رأيت مطارحة من المطارحات الغزلية الشائنة المألوفة في المدن الأوروبية والأمريكية . فأت تلك النظرات الخاطفة التي يتبادلها المارة عادة في باريس أو نيويورك ، والتي تعبر عن التباهي بالجمال أو الأناقة أو الإعجاب بهما مفقودة تماماً في موسكو . والذي وثقت منه أن الفتاة أو المرأة في العاصمة الروسية لا تدرك معنى لأدلة الحب والإعجاب ، أو هي تأخذ نفسها بإوجب تجاهلها . فإن أنت أطلت النظر إليها عزت ذلك منك إلى تبيينك لطخة علفت بأنفها فتحاول إزالتها بإيديها .

وإذا رأيت امرأة جالسة على مقعد في حديقة عامة فلا تخش إذا أنت جاورتها أن تحدجك بغضب ، أو تخلى مكانها ؛ إذ هي لا ترى في صنيك ما يريب أو يدعو إلى الاستهجان . وإذا جرؤت على سؤالها عن الوقت أو استطلعتها رأيها في الطقس أجابتك بكل بساطة معينة لك الساعة ومعربة عن شعورها بنقص الحر أو اشتداده بالنسبة إلى ما كان عليه في الأحد الفائت .

ولا يصح أن يُمرّى ما يبدية الذكور في موسكو من الفتور أو التحفظ إلى نقص في جاذبية إناثها ، فمن على العكس من ذلك بآراء الحسن ، وجمال بعضهم رائع فنان . فهناك الموسكوفيات الذهبيات الشهور السمهرات القوام ، والشماليات ذوات البشرة الماجية والأعين الزرق ، والفوقازيات الفاتنات اللحاظ المفترات النغور . ولكن رغم كل هذه المقويات يندر أن يمرهن الرجال التفاتاً . وحتى اليوم لا أعلم سبباً لهذا الفتور وعدم البلاء بيديهما الرجال نحو أبرع النساء جمالا سوى اعتبارهم الاحتفال بالجمال إلى حد التذلل ، إخلالا بالآداب العامة .

ومما يلفت النظر بنوع خاص هو أنه بين زهاء الألفين من اللوحات المصرية المروسة في المتحف الفنّي لا يوجد رسم واحد عار . وفي أثناء إقامتي في المدينة أعربت مديرة المنزل دفقراً أودعته ما أوحاه إلى خيالي من رسوم طارية لآدم وحواء في

لم ينالكوا أن أهدوا منتهى الاستغراب عند ما رأوا الفتيات يودعن عند الباب ولم تدع واحدة منهن رفيقها للدخول وتناول فنجان من الشاي أو كأس من الشراب .

وهذا لا يعني أن الغرب المقيم على سفر في موسكو لا يستطيع أن يصادق فتاة روسية ، على أن علاقته بها تختلف كثيراً عما لو كان في باريس أو لندن أو نيويورك . مثال ذلك أن الفتاة الموسكوفية تستاء إذا حاول رفيقها أن يدفع عن ما تناوله من طعام أو شراب ؛ فهي تصر على دفع حصتها من النفقة ، ولا تقبل هدية إلا إذا كان في استطاعتها أن تقدم ما يضارعها في أول فرصة تسنح .

وقد اتفق لي أن قدمت يوماً لفتاة عمرها هدية صغيرة فردت عليها في الحال بطاقة من الأزهار . وفي ظرف آخر قدمت لفتاة موسكوفية زجاجة عطر أنيت بها من باريس فما كان منها إلا أن قدمت لي على الأثر كيساً من البرتقال .

وما أنا قد عدت من روسيا مندهشاً لتحرر الروسيات من سلطان الحب . ولا بد لي من الاعتراف بأن العلاقات الجارية بين الجنسين في العاصمة الروسية تدهش إلى أقصى حد الرحالة الذي تنالت أمامه في كل مكان المشاهد الدالة على ما كان للحرب من الأثر في تداعي الأخلاق ، وما عقبها من الفوضى الأدبية في البلدان الأوروبية دون استثناء .

نوفمبر ١٩١٧

محمد مصطفى

يقدم

من راء المنظار

صور اقتصادية فلكية من حياتنا الاجتماعية

الفردوس . فلم يكذب بقع نظرها على الرسم الأول حتى أعادت إلى دفتري قائلة : « اسبح لي أن أعيد إليك بضاعتك إذ لا سوق في روسيا للرسم البديهة ! » ، ولا يقوم الفارس أن بين تلك الرسوم ما يريب أو يחדش الغفاف ؛ فإنني لو كنت في باريس لما خرجت أن أطلع عليها رابعة في دير سان سوبليس فلا ترى فيها ما يوجب الإغضاء . والأغرب من ذلك أن الكثيرين من أصدقائي في موسكو كدوا لي أن تلك المدبرة لا تمتد من المتطرفات في التصون .

وربما كان أشد ما حيرني سلوك الرجال ؛ فهم متطرفون في كتمان عواطفهم الجنسية . ومما أذكرك في هذا الصدد أنني بينما كنت مسافراً في طائرة أخذت أسلي نفسي بمطالعة عدد من مجلة « ليف » حتى إذا ما استوعبت جبل ما يهمني من مواده دفعتني إلى ضابطين روسيين مجاورين لي ، فراحا بقلبان صفحانه دون أن يستوقفا ما حفل به من رسوم الفتيات ذوات الجمال الرائع والهندام البارع ، شأنهما في ما صرا به دون مبالاة من صفحات المواد لجهلهما اللغة الإنكليزية . أما الصفحة الوحيدة التي أطلالا فيها التحديق فهي تلك التي تضمنت إعلاناً عن معمل دراجات آلية . ولا يزال ذلك الاحتشام المحسوس للموس في روسيا سراً متلفاً على ، وربما كان من أول الأسباب الداعية إليه هو أن النساء في الاتحاد السوفياتي ، باستثناء أقلية لا يؤبه لها ، أسبحن على قدم المساواة مع الرجال ، ففي كل مكان تقوم المرأة بأعمال كانت وفقاً على الرجال ، كقيادة الحوافل ، وبيع تذكار السفري محطات السكك الحديدية ؛ حتى أن تنظيف المجاري تقوم به النساء . وكثيراً ما تبصر إحداهن خارجة من الأعماق وقد علت وجهها ونوبها الأقدار بعد أن غامت فيها بمخاضها الساق الضخم .

ومن الجهة الثانية نرى أن الروسيين قد أعياهم إدراك مفهوم التربين للأسلوب الأسلح في العلاقات بين الجنسين . ومن الأمثلة الطريفة على تقصيرهم في هذا المضمار هو ما شاهدته في (قيانا) ، فقد دُعِيَ عدد من الفتيات الفرنسيات المهندات إلى حفلة اجتماعية أقامها ضباط روسيون . ومما لا ريب فيه أن الفرنسيات لم يماورن في سلوكهن الحد الذي ألفته مع أبناء جنسهن . وكان الروسيون الذين نجبوا كل أنواع المنازلة أن رافقوا بكل أدب مدعوتهن إلى منازلهن ، ولكنهم